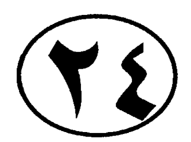
قصصُ الأنبيَاءِ للأطفَال



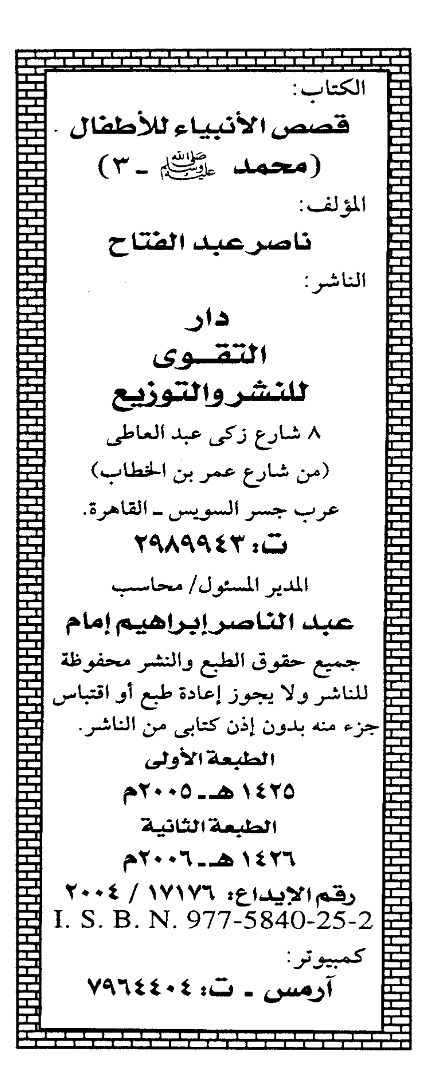
مُحَمَّد

(صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم)

الجزء الثالث

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال .
(محمد ﷺ ـ ٣)
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس ـ القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

غـزوةُ أُحُـد

بعـثَـتْ قـريشٌ فى فـداءِ أسْـرَى بَـدْرٍ وخـيَّم الحُـزْنُ والذُّلُّ عـلى المشـركينَ فنَذرَ أبو سـفيَان أنْ يغـزُو محـمـداً ﷺ وينتـقمَ منْهُ فخَرَج برفـقَـةِ مائتَـىْ قرشيٍّ وحـرقَ نـخـلاً بالمدينـة ، وقـتَل رجُلَيْن ، ثُـم كَـرَّ عائداً قبلَ أنْ يلحَقهُ الرسولُ ﷺ وأصحابُهُ .

وخَـافتْ قـريشٌ على قـوافلهَـا فـسلَكتْ طريقَ العـرَاقِ بدلاً منْ طريقِ الشَّامِ المألُوف .

وخـرجَ أبو سـفيـانَ فِى قـافلةٍ عظيـمـةٍ وسلكَ الطريقَ الجـديدَ فاعترضَهُ الصحَابىُّ زيدُ بن حارثةَ وأصحَابُهُ وأصابُوا القافلَةَ .

اجتمعَ زعماءُ قريشٍ وقاموا بتحريضِ قبائلِ العَربِ علَى حرب المسلمينَ ، ورأى بعضُهُمْ اصطِحَابَ النساءِ معهُمْ حتَّى يستَميتَ الرجَالُ دفَاعًا عنهُنَّ .

توافدَ المئَاتُ منْ أنحاءِ الجزيرَةِ العربيَّة وبلغَ عددُ جيشِ الكفار ثلاثَةَ آلاف مُـقَاتلٍ وخمسَ عَشْرةَ امرأةً ، معهُمْ ثلاثةُ آلافِ بعيرٍ ومائتَا فرَسٍ وسبعُمائَةُ درْعٍ .

تولَّى أبو سفيان بن حرب قيادَةَ الجيشِ وفى الميْمَنةِ خالد بن الوليد، وفى الميْسَرةِ عكرمة بن أبى جهل، وكانَ اللواءُ معَ بنى عبد الدَّار.

انطَلقَ جيشُ المشركينَ منْ مكةَ يدفَعُه الحقدُ والانتقَامُ، وواصَلَ سيْرَهُ حتَّى اقترَبَ منَ المدينةِ فأقَام معَسكَرهُ بجوارِ جَبَلِ أُحُدٍ شمالَ المدينةِ.

وطارتِ الأخبارُ إلى الرسول ﷺ فجمعَ أصحابهُ وعقد مجلسًا للشُّورَى لبحثِ ذلكَ الأمْرِ الخطيرِ.

أشَار بعضُ الصحابَةِ على الرسولِ ﷺ بالخرُوجِ ومُلاقَاةِ العدُوِّ فقالُوا:

يا رسولَ اللهِ كُنَّا نتمنَّى هذَا اليومَ وندعُو اللهَ، فقدْ ساقَهُ إلينا وقَرُبَ المسيرُ، اخرُجْ إلى أعدائنا لا يَروْنَ أنَّا جَبُنَّا عنهمْ.

أما المنافقُ عبد الله بن أُبى بن سلول وهُو أحَدُ زعمَاءِ الخزرَجِ فقدْ أشَار على الرسولِ ﷺ بالبقاءِ فى المدينَةِ وانتظارِ الأعداءِ.

أخذَ النبيُّ ﷺ برأْى أصحَابهِ فارتَدى دِرْعهُ وخرجَ فى ألفٍ منَ الصَّحابَةِ وفى الطريقِ انسَحبَ زعيمُ المنافقينَ عبدُ اللهِ بن أبى بن سلول وحرَّض أصحَابهُ فاتَّبعُوه، وصارَ عددُ الجيشِ سبْعَمائةٍ.

مضىَ رسولُ اللهِ ﷺ بجنودِهِ إلى جَبَلِ أُحُدٍ واختَارَ أفْضلَ مكَانٍ فِي ميدَانِ المعْركَةِ فأقَام مُعَسْكرهُ فِي مكَانٍ مرتفعٍ فِي الجبَلِ ووزَّع خَمسينَ رامِيًا حول الجيشِ ، وأمَرهُمْ بالثَّباتِ وعدم مغَادرة مواقِعهم ، ونظَّم صُفُوفَ الجيشِ فقَسَّمهُ إلى ثَلاث كتائبَ : المهاجرينَ والأوسِ والخزرَجِ ، وجعَل على الميمَنة المنذرَ بن عمرو ، وجعلَ على الميسرَةِ الزُّبيْر بن العوام ومعهُ المقْدادُ بن الأسود ، ودفَعَ اللواءَ إلى مُصعب بن عمير ثُم قالَ :

منْ يأخُذُ هَذَا السَّيْف بِحَقِّه ؟

تساءَلَ صحابيٌّ يُدعَى أبو دُجانةَ : ومَا حَقُّهُ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ الرسولُ ﷺ : مَنْ يضْرب بهِ العدُو حتَّى ينْحنِي ؟

قالَ أبو دُجانةَ : أنَا آخُذُهُ يا رسولَ اللهِ بحقِّه .

وأمسكَ أبو دُجانة بالسَّيفِ ثُم ربَط رأسَه بعصابَةٍ حمراءَ ، ووقَفَ في انتظَار سَاعة الصِّفْر ، ومضَتْ لحَظَاتُ الانتظَار بطيئَةً ، وتواجَهَ الجيشَان .. سبعُمائة مسلمٍ أمامَ ثلاثةِ آلاف مُشْركٍ .

حاولَ أبو سفيان تَفْرقة جيشِ المسلمين فأرسَل إلى الأنصَار يقولُ لهُمْ : خَلُّوا بيْننَا وبينَ ابن عمِّنَا فننصَرفُ عنكُمْ ، فلا حاجَة لنَا إلى قِتَالكُمْ .

رَدَّ الأنصارُ عَلى أبى سفيانَ ردًا عنيفًا وتوعَّدُوهُ بالانْتقامِ.

خرجَ طلحة بن أبى طلحة حامل لواء المشركين ، وكانَ منْ أشْجعِ فُرسَانِ قريشٍ ودعَا للمبَارزَة فتقدَّمَ إليه الزبير بن العوام وانقَضَّ عليْه فِى شَجاعَةٍ نادِرةٍ وصَرعَهُ.

صَاح النبيُّ ﷺ والمسلمونَ : اللهُ أكبرُ .. اللهُ أكبرُ.

اشتعَلتْ نيرانُ المعركَةِ وارتطَمت السيُوفُ .. انقضَّ المسلمونَ على الأعْداءِ كالإعصَارِ الجارِفِ فمزَّقُوا شَمْلَ المشرِكينَ ، وهَجمَ حمزة بن عبد المطلب على حَاملِ لواءِ المشركينَ فَصَرعَهُ ، واخْترقَ أبو دُجانة الصُّفُوف وأخَذَ يُطيحُ بالمشركينَ بسيْفِ رسولِ الله ﷺ بإرَادةٍ لا تُقْهَرُ ، وانقضَّ حمزة بن عبد المطلب كالأسَدِ الهَادرِ يمزِّقُ الصفُوف ويَقْطفُ الرءُوس ، ولمْ ينْتبه إلى وَحْشِيٍّ خادم جُبير بن مُطعم وَالذى وعَدتْهُ هندُ بنتُ عُتبةَ بالحُرِّيَّة عندَ قتْلِ حمزَةَ.

أخَذَ وَحْشِيٌّ يراقِبُ حمزة وفِى لحظَةِ غَافلةٍ رَفعَ حربَتهُ وضَربَهُ بهَا فَصرعهُ ، واشْتدَّ القتَالُ وهَجمَ أحدُ المشركينَ على الرسولِ ﷺ فتصدَّى لهُ مصعب بن عُمير ، واسْتبْسلَ دِفاعًا عنِ النبيِّ ﷺ حتَّى استُشْهِد وظَنَّ المشرِكُ أنَّهُ قَتَل النبيَّ .

رَفع النبيُّ ﷺ اللواءَ لعَليِّ بن أبي طالبٍ فبرز لهُ صاحبُ لواء المشركينَ ودعَاهُ للمبارَزةِ فصَرعَهُ عليٌّ ووثبَ على الأعداء.

حاولَ خالدُ بن الوليدِ وجنودُهُ اختراقَ صفوفِ المسلمينَ وصعودَ الجبَلِ إلاّ أنّ الرُّمَاة رَشقُوهُم بالنِّبَالِ فارتَدُّوا خَائبينَ.

أحسَّتْ قريشٌ بالعَجْزِ وخَارتْ عزيمَةُ الجُنود وسقَطَ لواءُ المشركينَ على الأرضِ فانسَحَبُوا منَ المعركَة وفرُّوا هاربين تاركين الغنَائمَ وراءَهُمْ، كبَّر المسلمونَ فَرحًا بالنَّصْرِ واندفعُوا إلى الوادى يَجْمعُون الغنَائم.

رَأى الرُّمَاةُ ذلكَ فقالَ بعضُهُم لبَعْضٍ: الغنيمَةَ .. الغنيمَةَ انتصَر أصحابُكُمْ فَما تنتظرُونَ ؟

هَمَّ الرُّمَاةُ بالنزُول لجَمْعِ الغنائمِ فذَكَّرهُمْ قائدُهُم عبد الله بن جبير بأمْرِ الرسولِ ﷺ لهُمْ بألاَّ يُغادرُوا مَواقعَهُم أعْلى الجَبَل حَتَّى تَنْتهى المعْركةُ تمامًا.

عَصَى الرُّماةُ أوامر الرسولِ ﷺ واندفَعُوا إلى الوادى نَحْوَ الغَنائم، فَانتَهز خالد بن الوليد نزولَ الرُّماة فاسْتدار فى سُرعَةٍ خَاطفةٍ عائداً بجنُودهِ وكَرَّ على مُؤخِّرَة جيشِ المسلمينَ.

عادَت جُموعُ المشركينَ الهاربَةُ فانْقضَّتْ على المسلمينَ من الأمَامِ واشْتَعلت المعْركةُ.

وانتشَرتْ شائعةُ مقْتَلِ الرسولِ ﷺ فَانْهارتْ معنويَاتُ بعضِ المسلمينَ واضْطربَت الصفُوفُ ، إلاَّ أنَّ الرسولَ ﷺ وَقفَ يُنادى فى المسلمينَ : هَلُمَّ إلىَّ ، أنَا رسُولُ الله.

صاحَ الصحابىُّ كعبُ بن مَالكٍ بأعْلى صوته : يا معْشرَ المسلمينَ .. أبشرُوا .. هَذَا رسولُ الله .. وتسَابقَ المشركونَ إلى رسولِ الله ﷺ يحاولُون قَتْلهُ فأحَاطَ به تسْعَةٌ منَ الصَّحابَة يَفْدُونَهُ.

تزاحَم المشركونَ حولَ النبىِّ ﷺ وقاتَلَ أصحَابُهُ ببسَالةٍ نادرةٍ حتَّى تساقَطُوا واحِدًا وراءَ الآخَر ، ولمْ يَبْقَ مَعهُ سوى طلحة بن عُبيد الله وسعد بن أبى وقاص، وعَاشَ الرسولُ ﷺ أحْرجَ ساعَات حَيَاته إذْ أُصيبتْ أسنَانُهُ وجُرِحتْ شَفَتُهُ السُّفْلى ونَزفَتْ جَبْهتُهُ ، وسقَطَ فى حُفْرةٍ صنعَهَا المشركُون وأخَذَ الدَّمُ يسيلُ منْ رَأْسه .

تألَمَ الرسولُ ﷺ وقالَ : كيفَ يُفْلحُ قَوْمٌ شَجُّوا وَجْهَ نَبيِّهِمْ ؟!

فأنزلَ اللهُ تعالَى : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)** ﴾ [آل عمران]

رفعَ النبيُّ ﷺ يديْه ودعا ربَّهُ قائلاً : « اللهُمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهم لا يَعْلمُونَ » .

وبعثَ اللهُ تعالَى منْ ملائكتِه جبريل وميكائيلَ في ثيابٍ بيضٍ إلى الرسولِ ﷺ يُدافعُونَ عَنْهُ ويَصُدُّونَ الأعْداءَ وتوافَد الصحابةُ إلى الرسولِ ﷺ والتفُّوا حولَهُ فأقامُوا حائطًا بشريًا منيعًا بأجْسادهِمْ يَحُولُ دُونَ نَفاذِ الأسْهم وضرباتِ السيوفِ إليه ، وضربُوا أروعَ الأمثلَةِ في الفداءِ والتضْحيَةِ ، فقدْ أُصيبتْ عيْنُ الصحابي قتادةَ بن النعمان فردَّها الرسولُ ﷺ بيدهِ الشريفةِ فعَادتْ أحْسنَ ممَّا كانَتْ .

واسْتَبْسلَ أبو دُجانة دفاعًا عنِ الرسولِ ﷺ وقَاتلتْ أُمُّ عُمارة حتَّى أصيبتْ اثْنى عَشَر جُرْحًا ، وأصيبَ عبد الرحمن بن عوفٍ بأَكْثَر منْ عشْرينَ جُرحًا ، وسحَبَ الرسولُ ﷺ قُوَّاته إلى مقرِّ قيادةِ الجيشِ بالجَبل وحَاولَ خالدُ بن الوليد شَنَّ هجُومٍ على المسلمينَ من فوقِ الجَبلِ إلاَّ أنَّهُ فَشلَ وفرَّتْ جُنُودهُ أَمَامَ أَسْهُم الرُّمَاةِ المسْلمين .

يَئِسَ المشركُونَ منْ ملاَحقةِ المسلمينَ ، فقَامُوا بالتَّمثيل بشُهداءِ المسلمينَ فقَطَعُوا آذانَهُمْ وأُنوفَهُمْ وانصرفُوا عائدينَ إلى مكةَ .

تلقَّى المسلمونَ دَرْسًا قاسيًا عندمَا خَالفُوا أوامر الرسول ﷺ وانقلَبَ نَصْرُهُمْ إلى انْسِحَابٍ وتَوقَّعَ النبيُّ ﷺ عودةَ المشركين فنَظَّمَ صفُوفَهُ ، وخَرجَ يتعقَّبُهُمْ ، وَفى تلكَ السَّاعة نَدمَ المشركُون لأنَّهُمْ عادُوا دونَ أنْ يكْسبُوا أرضًا ، وتساءلُوا : أىَّ نصْرٍ أحْرزْنَاهُ ولمْ نَكسبْ أرضًا ولاَ غَنيمَةً ولا أسْرَى ؟

وقالَ بعضُهُمْ لبعْضٍ : لمْ تصْنعُوا شَيْئًا ، أصَبْتُم شَوْكَتهُمْ وحْدَهُمْ ، ثُمَّ تركتُمُوهُمْ وقدْ بَقِى مِنْهُمْ رُءُوسٌ يَجمعُونَ لكُمْ ، فارجِعُوا حتَّى نسْتأْصِلَهُمْ.

نظَّمَ أبو سفيان صفُوفَ جيشهِ وقَبْلَ أنْ يتَحرَّكَ بالجنُود نحْوَ المدينة أقْبَلَ مَعبدُ بن أبى معبد ، وكَانَ قدْ أسْلَم سرًّا.

تَسَاءَل أبو سفيان : ما وَرَاءَكَ يَا معبد ؟

قالَ معبدٌ : خَرجَ محمدٌ فِى أصَحابه يطلُبُكمْ فِى جَمْعٍ لمْ أَرَ مثْلَهُ ، يتحَرَّقُونَ عليْكُمْ تَحَرُّقًا ، وقَد اجتَمعَ مَعهُ منْ كَانَ تَخلَّف عَنْهُ فِى يوْمكُم ، ونَدمُوا عَلى مَا ضَيَّعُوا ، فيهم منَ الحَنقِ (الغيْظ) عَليْكُمْ شَىْءٌ لمْ أرَ مثْلَهُ قَطُّ.

قالَ أبُو سفيان : وَيْحَكَ مَا تقُولُ ؟

قـالَ معـبـدٌ : واللهِ مَا أرَى أنْ تـرتحِلَ حَتَّى تَرَى نَواصِىَ الخَـيْلِ أوَ حتَّى يطلُعَ أولُ الجيشِ منْ وراءِ هَذه الأكَمَة (الشَّجَر) .

اضطـربَ أبو سـفـيـان وتَسـرَّبَ الفَـزَعُ والرُّعْـبُ إلى قلوبِ المشرِكين فَفَرُّوا عَائِدينَ إلى مكةَ .

غـزوةُ الخـنـدق

رَجعَ المسلمونَ إلى المدينةِ والحزنُ والألَمُ يملأُ قلوبَهم مما أصابَهم يومَ أُحـدٍ ، وباتتْ الأخطارُ تُحيطُ بهم مِنْ كلِّ جـانبٍ ، فاليـهـودُ يتربصونَ بهم ، وقبائلُ العربِ تُخططُ للانقضاضِ عَليـهم ، فهَا هُم بنو أسدٍ قدْ تعبأوا لحربِهم ، فأرسلَ الرسولُ ﷺ إليهم سريةً حربيةً أطاحتْ بأحلامِهم .

وقَدمَ وفدٌ مِنْ قبيلتَى عضلٍ والقارةِ إلى الرَّسول ﷺ وطَلبَ منه (ونَاشدَهُ) أنْ يبعثَ معه مَنْ يُعلِّمُ قومَهم الدِّين الجديدَ ، ومَا كادَ المعلمونَ الستةُ يبتعدونَ عَنِ المدينةِ إلاَّ وغُدرَ بهم فِى الطَّريقِ فلقُوا حتفَهُم (لقُوا ربَّهُمْ) .

واصطحبَ وفدٌ مِن بنى عامرٍ سبعينَ منَ الصحابةِ لدعوةِ أهلِ نجدٍ ، ولكنَّهم لقُوا مصيرَ أصحابِهم الستَّة .

وبينمَا الرسولُ ﷺ جالسٌ بجوارِ أحدِ بيوتِ بنى النضيرِ إذْ همَّ أحدُهُمْ بإلقاءِ حجرٍ فوقَ رأسِ الرَّسولِ ﷺ مِن فوقِ جدارِ البيتِ.

نزلَ جبريلُ علَى النَّبىِّ ﷺ فأخبرَهُ بالمؤامرةِ .. هبَّ النبىُّ ﷺ مسرعًا إلى المدينةِ وعادَ بأصحابه فغزَا بنى النضيرِ .. اختبأَ اليهودُ فِى الحصونِ ، ففرضَ النبىُّ ﷺ حصارًا محكمًا علَيهمُ فتسربَ الرُّعبُ إلى قُلوبِهم ، واستسلمُوا فطرَدهُمْ وشردَهُمْ.

اجتمعَ زعماءُ بني النضيرِ للانتقام مِن محمدٍ وأصحابِه فانطلقُوا إلى قريشٍ، وأخذُوا يحرضونَها علَى حربِ الرَّسولِ ﷺ .

قالَ زعماءُ قريشٍ : يا معشرَ يهودٍ ، إنكُمْ أهلُ الكتابِ الأولِ (التوراةِ) .. أفَدينُنَا خيرٌ أمْ دينهُ.

قَالَ اليهودُ كذبًا : دينُكُمْ خيرٌ مِن دينِه ، وأنتُم أولَى بالحقِّ منْهُ.

سُرَّ القومُ بقولِ اليهودِ ، ووافقُوا علَى الانضمامِ إليهم للقضاءِ علَى محمدٍ وأصحابِه.

انطلقَ وفدُ اليهودِ إلى سائرِ قبائل العربِ يحرضونَهم علَى حَربِ المسلمينَ ، فاستجابَ كثيرٌ مِن العربِ وتعبأتْ أحزابُ الكُفرِ فِى جيشٍ ضخمٍ قوامُهُ عشرةُ آلافِ مقاتلٍ. وانطلقُوا صوبَ المدينةِ.

جاءتِ الأخبارُ إلى الرسولِ ﷺ ، فعقدَ مجلسَ الشورى لوضعِ خُطةٍ لمواجهةِ الخطرِ الداهمِ .

أشارَ سلمانُ الفارسيُّ بحفرِ خندقٍ يمنعُ تقدمَ الأعداءِ ، وكانتْ المدينةُ تُحيطُ بهَا الجبالُ والنخيلُ من كلِّ جانبٍ ، سوى الجانبِ الأيسرِ فأمرَ النبيُّ ﷺ بحفرِ الخندقِ شمال المدينة .

سُرَّ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُهُ باقتراحِ سلمانَ ، وانهمكَ الجميعُ في حَفْرِ الخندقِ بعزيمةٍ قويةٍ ، وصبرٍ جميلٍ ، والرسولُ ﷺ معهم يدًا بيدٍ ، وبينمَا هُمْ يعملونَ إذْ عرضتْ صخرةٌ صلدةٌ لمْ يقدرْ أحدٌ علَى كسرِهَا .. أخذَ النَّبيُّ ﷺ بالمعولِ وَقَالَ « بسمِ اللَّهِ » ثُمَّ ضربَ ضربةً قويةً وَقَالَ : « اللهُ أكبرُ » أُعطيتُ مفتاحَ الشَّامِ ، وَاللَّهِ إني لأنظرُ قصورهَا الحمرَ الساعةَ .

ثُمَّ ضربَ الثانيةَ موقعًا آخرَ فقالَ : « اللَّهُ أكبرُ » ، أُعطيتُ فارسَ واللَّهِ إني لأُبصرُ قصر المدائنِ الأبيض الآنَ . ثُم ضربَ الثالثةَ فقالَ : « بسمِ اللَّهِ » فَقطعَ الحجرَ . فقالَ : اللَّهُ أكبرُ ، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ ، واللَّهِ إنِّي لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ منْ مكاني .

وحدثتْ معجزاتٌ أخْرى ، فقدْ وَضَعَ الرَّسولُ ﷺ حفنةً من تمرٍ

فى ثوبه ، ثُمَّ دعا أهلَ الخندقِ وعددُهُمْ ألفٌ فجعلُوا يأكلُونَ والتمرُ يزيدُ ولا ينقصُ منهُ شىءٌ ، ووُضعتْ شاةٌ مشويةٌ أمامَ الرَّسولِ ﷺ فنَادَى جميعَ أهلِ الخندقِ فأكلُوا وشبعُوا ، وأخيرًا انتهَى المسلمونَ مِن حفرِ الخندقِ قبلَ أنْ تصلَ الأحزابُ إلى المدينة ، وأقبلتْ أحزابُ المشركينَ بآلافِها العشرِ مِنْ قبائلِ قريشٍ وكنانةَ وتهامةَ ، وغطفانَ ونجدٍ ونزلُوا أمامَ الخندقِ.

وَعسكَر جيشُ المسلمينَ خلفَ الخندق الَّذى حالَ دونَ اشتباكِ الجيشينِ ، وكانَ شعارُ المسلمينَ «حَم، هُمْ لا ينصَرون»

وقفَ المشركونَ أمامَ الخندقِ حائرينَ وحاولَ بعضُهمْ اقتحامَهُ إلاَّ أنَّ سهامَ المسلمينَ رَدَّتْهُمْ خائبينَ.

طافَ بعضُ الجنودِ حولَ الخندقِ يبحثونَ عَن ثغرةٍ يتسللونَ منهَا ، اقتحمَ فرسانٌ مِن قريشٍ مكانًا ضيقًا من الخندقِ ، ودعَا أحدُهم وهوَ عمرُو بن ودٍّ إلى المبارزةِ ، فخرجَ إليه علىٌّ بن أبى طالبٍ ودعَاهُ إلى الإسلامِ لكنَّه رفضَ ، واشتبكَ الفارسانِ فى مبارزةٍ عنيفةٍ انتهتْ بمصرعِ عمرِو بنِ ودٍّ ، وفرارِ فرسانِ قريشٍ منهزمينَ.

مكثَ المشركونَ أمامَ الخندقِ دونَ قتالٍ ، ولَمْ تحدثْ سوَى بعضِ

المواجهات منَ الرماة أدتْ إلى استشهادِ ستةٍ من المسلمينَ ، ومَقْتل عشرة من المشركينَ .

أُصيبَ الصحابيُّ سعدُ بنُ معاذٍ بسهمٍ فِي يده ، فجرحَهُ جُرحًا خطيرًا .

اغتاظَ اليهودُ من عبقرية الخندقِ ، فقرروا ضربَ المسلمينَ من داخلِ المدينةِ وطعنَهم من خلفِ ظهورهم ، فأسرعَ زعماؤُهم يحرضونَ يهودَ بنى قريظةَ جيران المسلمين ، وكانُوا قدْ عقدُوا معاهدةً معَ الرَّسولِ ﷺ وتعهدُوا بنصرته عندَ الحرب .

التقىَ زعيمُ بنِى النضيرِ بكعب بن أسدٍ زعيمِ بنِى قريظةَ ، وأخذَ يحرضُه علىَ خرقِ معاهدة المسلمينَ ، ومَا زال بهِ حتَّى أقنَعهُ وانضمتْ بنُو قريظة إلى الأحزَابِ ، وبدأتْ تخَططُ لضربِ المسلمينَ منَ الخلفِ .

أخَذَ المنافقونَ يُضْعفونَ من عزيمةِ المسلمينَ ويُحرِّضونَهم عَلَى الهربِ ، وعرفَ النَّبيُّ ﷺ بغدرِ بنى قريظةَ ، وخيانةَ المنافقينَ فأطرقَ صامتًا مفكرًا ثُمَّ صاحَ فَرِحًا : اللَّهُ أكبرُ ، أبشرُوا يا معشرَ المسلمينَ بفتحِ اللَّهِ ونصرِهِ .

وجلسَ النَّبىُّ ﷺ يخططُ لزرعِ الفُرقةِ بينَ الأحزابِ ، فقررَ أنْ يعطىَ بنى غطفانَ ثلثَ ثمارِ المدينةِ نظيرَ الانسحابِ من المعركةِ ، إلاَّ أنَّ الأنصارَ قالُوا للرَّسولِ ﷺ :

يا رسولَ الله ، قَدْ كُنَّا نحنُ وهؤلاءِ القومِ عَلىَ الشِّركِ باللهِ ، وعبادةِ الأوثانِ ، لا نعبدُ اللهَ ولا نعرفه ، وهُمْ لا يطمعونَ أنْ يأكلُوا منها تمرَةً إلاَّ قِرًى (طعامُ الضيفِ) أو بيعًا ، أفحينَ أكرمَنا اللهُ بالإسلام وهدَانا لَهُ وأعزَّنا بكَ وبهِ نُعْطيهم أموالَنا ، واللهِ مَا لنَا بهذَا من حَاجةٍ ، واللهِ لا نُعْطيهم إلاَّ السيفَ حتَّى يحكمَ اللهُ بيننا وبينهُم .

وَفى تلكَ الأثناءِ ، جاءَ نُعيمُ بنُ مسعودٍ من غطفانَ إلى النَّبىِّ ﷺ وقَالَ : يَا رسُولَ اللهِ ، إنى قدْ أسلمتُ ، وإنَّ قومىَ لا يعلمُون بإسلامى ، فَمُرْنى بمَا شئتَ .

أوصَى النَّبىُّ ﷺ نُعَيْمًا أنْ يكتمَ أمرَ إسلامهِ ، وأنْ يدخلَ بينَ المشركينَ ويفرِّقَ بينهم ، فإنمَا الحربُ خُدعَةٌ ومكيدةٌ .

وأسرعَ نُعيمٌ إلى بنى قريظَةَ ، وَقالَ لهُمْ : قدْ عرفْتُمْ ودِّى إياكُمْ وخاصَّةَ ما بينى وبينكُمْ .

قَالُوا : صدقتَ.

قَالَ : فإنَّ قريشًا ليسُوا مثلكُمْ ، البلدُ بلدُكُمْ ، فيه أموالكُم وأبناؤكُمْ ونساؤكُمْ ، لا تقدرونَ أنْ تتحولُوا منه إلى غيره ، وإنَّ قريشًا وغطفانَ قدْ جاءُوا لحربِ محمدٍ وأصحابه ، وقدْ ظاهرتموهُمْ عليه ، وبلدُهم وأموالهُم ونساؤهُمْ بغيره ، فإنْ أصابُوا فرصةً انتهزُوها وإلا لحقُوا ببلادِهم وتركُوكم ومحمدًا فانتقمَ منكُمْ.

تساءلَ يهودُ بنِي قريظةَ : فمَا العملُ يا نعيمُ؟

قالَ : لا تقاتلُوا معَهُمْ حتَّى يعطُوكُمْ رهائنَ.

قالُوا : لَقدْ أشرتَ بالرأى.

ثُمَّ مضىَ نعيمٌ إلى قريشٍ ، وقالَ لَهُم : إنَّ اليهودَ قدْ ندمُوا علَى مَا كانَ منهم منْ نقضِ عهدِ محمدٍ ﷺ وأصحابه ، وإنَّهُمْ قدْ راسلُوه أنهم يأخذونَ منكم رهائنَ يدفعونهم إليه ، ثُمَّ يوالونه عَليكُمْ ، فإنْ سألُوكم رهائنَ فلا تعطوهُم.

ثُمَّ ذهبَ إلىَ غطفانَ ، فقالَ لهُم مثلَمَا قالَ لبنى قريظة وقريشٍ.

وفِى ليلةِ السبتِ بعثتْ قريشٌ إلى اليهودِ : إنَّا لسنا بأرضِ مُقام

وقدْ هلكت الدوابُّ ، فانهضُوا بنَا حتَّى نناجذَ (نقاتلَ) محمداً .

فأرسلَ اليهودُ إليهم : اليومُ يومُ السبتِ ، وقدْ علمتُمْ مَا أصابَ مَنْ قبلَنا حينَ أحدثُوا فيهِ ، ومعَ هَذا فإننَا لا نقاتلُ معكُمْ حتَّى تبعثُوا إلينَا رهائنَ .

قَالتْ قريشٌ وغطفانُ : صدقَكُمْ واللهِ نُعيمٌ .

فبعثُوا إلى اليهودِ : إنَّا واللهِ لا نرسلُ إليكُمْ أحداً فاخرجُوا معَنَا حتَّى نُناجذَ محمداً .

فَقَالتْ بنُو قريظةَ : صدقَكُمْ واللهِ نُعيمٌ .

ودَبَّت الفُرْقةُ فِي صفوفِ الفريقينِ ، وضعفتْ عزائمُ الجنودِ ، وتسربَ الرعبُ إلى قلوبِهِم .

رفعَ النبيُّ ﷺ يديهِ بالدعاءِ : « اللهُمَّ مُنْزِلَ الكتابِ ، سريعَ الحسابِ ، اهزِمِ الأحزابَ ، اللهمَّ اهْزمهم وزلزلهمْ » .

وسلطَ اللهُ الريحَ العاصفةَ الباردَة العاتيةَ ، فقلبتْ قدورَ المشركينَ واقتلعتْ خيامَهُمْ ، وأنزلَ اللهُ تعالىَ جنداً من الملائكةِ فزلزلُوا الأرضَ تحتَ أقدامِ المشركينَ ، وألقَوا الرعبَ فِي قُلوبِهم .

فرَّ المشركُون كالجُرذانِ المذعورةِ ، كلٌّ يريدُ أنْ ينجوَ بنفسهِ من

الهلاكِ بعد حصارٍ دامَ قُرابةَ الشهرِ ، فَقدْ صدقَ اللهُ وعدَهُ ، ونصرَ عبدَه ، وأعزَّ جندهُ ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ .

سجدَ النبيُّ ﷺ شكرًا للهِ على نصرِه ، وقالَ : « الآنَ نغزُوهم لا يغزُونَنا ، نحنُ نسيرُ إليهم » .

عادَ الرَّسولُ ﷺ إلى المدينةِ يتلقَّى التهانيَ والورودَ فجاءهُ جبريلُ وقالَ لهُ :

أوَقدْ وضعتَ السلاحَ ؟ فإنَّ الملائكةَ لمْ تضعْ أسلحتها ، ومَا رجعت الآنَ إلاَّ من طلبِ القومِ ، فانهضْ بمنْ معَكَ إلى بني قريظةَ ، فإنِّي سائرٌ أمامكَ أزلزلُ بهم حصونهم ، وأقذفُ في قلوبهم الرعب .

انطلقَ جبريلُ في موكبٍ مهيبٍ من الملائكةِ ، ونادَى المؤذنُ :

« مَن كانَ سامعًا مطيعًا فلا يصلِّينَّ العصرَ إلا في بني قريظَة » .

خرجَ الرسولُ ﷺ في جيشٍ قوامهُ ثلاثةُ آلافِ جنديٍّ ، وفرضَ الحصارَ على بني قريظةَ ، لأنَّهم خانُوا عهدَ رسولِ اللهِ ﷺ وتحالفُوا معَ الأحزابِ .

استمرَّ الحصارُ خمسًا وعشرين ليلةً ، حتَّى نالَ من اليهودِ

التعبُ ، وقذفَ اللهُ فِي قلوبهم الرعبَ ، فعرضَ علَيهم زعيمُهُمْ كعبُ بن أسدٍ أمرًا من ثلاثةٍ.

إمَّا الإسلامُ ، وإمَّا محاربةُ محمدٍ بعدَ أن يقضُوا على نسائهم وأبنائهم حتَّى لا يقعُوا فى الأسرِ ، وإمَّا قتالُ المسلمينَ يومَ السبتِ بغتةً ، وهذَا اليومُ محرمٌ فيه القتالُ علَى اليهودِ.

رفضَ القومُ اقتراحاتِ كعبٍ وقبلُوا النزولَ علَى حُكمِ محمدٍ ﷺ ، واخْتيرَ سعدُ بن معاذٍ للتحكيمِ فِي أمرهم.

قَالَ سعدٌ : إنى أحكمُ فيهم أنْ يُقتلَ الرجالُ ، وتقسَّمَ الأموالُ ، وتُسْبى الذرارى (الأبناء) والنساءُ.

قالَ الرسُول ﷺ : « لقدْ حكمتَ فيهم بحُكم اللهِ من فوقِ سبع سماواتٍ ، ونالَ يهودُ بنِى قريظةَ أشدَّ العقابِ علَى غدرِهم وخيانتِهم».

وعادَ النَّبى ﷺ إلى المدينةِ وجاءتْ إليهِ أخبارٌ أنَّ بنى المصطلقِ جمعُوا لهُ وتهيَّأوا لحربهِ .

نظَّمَ النبيُّ ﷺ صفوفَ جيشهِ وانطلقَ إلى أعداءِ اللهِ فهزمَهم شرَّ هزيمةٍ فِي شوَّال سنة ستٍّ مِن الهجرةِ.

مُعاهدةُ الحُديبية

رأى النبيُّ ﷺ في منامه أنَّهُ دخلَ هوَ وأصحابُهُ المسجدَ الحرامَ ، ثُمَّ أخذَ مفتاحًا وطافُوا واعتمرُوا.

أخبرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ برؤياهُ ففرحُوا ، لأنَّ رؤيا الأنبياء صدقٌ، واشتدَّ فرحُهمُ عندَما أمرَهُم النبيُّ ﷺ بالاستعداد لأداء العمرةِ ، ودعَا المسلمينَ كافةً للخروجِ معَهُ حتَّى لا تصدَّه قريشٌ عَن البيتِ.

ارتدى النبيُّ ﷺ الثيابَ البيضَ وركبَ ناقتَه القصواءَ ، وغادرَ المدينةَ يومَ الاثنينِ غرةَ ذى القعدةِ من السنةِ السادسةِ للهجرة وخلفَه ألفٌ وأربعمائةِ مُسلمٍ لا يحملونَ سوَى الزادِ والسيوف.

تحركَ موكبُ الحُجَّاج نحوَ مكَّةَ ، ودفعَهم الحنينُ إلى بيتِ الله الحرامِ ، وحينَ اقتربُوا من عسفَان التقى أعرابيٌّ بالرَّسول ﷺ وأخبرَه أن قريشًا اجتمعتْ لقتالِه وصدِّه عن البيتِ ، وأنَّ خالدَ بن الوليدِ خرجَ بمائتى فارسٍ لملاقاة المسلمينَ.

سلكَ النَّبيُّ ﷺ طريقًا وَعْرًا بين الشِّعاب تجنبًا للقتال ، لأنَّهُ خرجَ للحجِّ لا للقتالِ .

عادَ خالدٌ بفرقتهِ إلى قريشٍ وحرضَهُمْ على تعبئةِ الجيشِ لصدِّ المسلمينَ عن مكَّةَ .

انطلقتْ جموعُ المسلمينَ حتَّى نزلَت قريبًا من الحديبيةِ ، ولمْ يكنْ في ذلكَ المكانِ ماءٌ . . اشتدَّ العطشُ بالصحابَةِ فانتزعَ النبيُّ ﷺ سهمًا من كنانتهِ فأعطاهُ رجلاً من الصحابةِ ونزلَ به في قلبِ بئرٍ جفٍّ فغرَزَهُ في جوفهِ ، فاندفعتْ المياهُ منه وارتوى القومُ .

والتقىَ رجالٌ من قبيلةِ خزاعةَ بالرسولِ ﷺ ، وسألُوه عن سببِ مجيئه ، فأخبرَهم أنَّه جاءَ زائرًا للبيتِ ولمْ يأتِ لحربٍ .

أسرعَ رجالُ خزاعةَ إلى قريشٍ وقالُوا : يا معشرَ قريشٍ ، إنكُمْ تعجلُونَ (تتسرعونَ) علىَ محمدٍ ، إنَّ محمدًا لمْ يأتِ لقتالٍ ، وإنَّما جاءَ زائرًا هذَا البيتَ .

قالُوا : وإنْ كانَ لا يريدُ قتالاً ، فواللهِ لا يدخلُها علينَا عُنوةً (غصبًا) أبدًا ، ولا تُحدِّثُ بذلكَ عنَّا العربُ .

وأخذتْ قريشٌ ترسلُ رسلاً إلى النبيِّ ﷺ حتَّى يرجعَ عَن مكَّةَ إلاَّ أنه لمْ يرضخْ لرغبتهم ، وأرسلَ إليهم عثمانَ بن عفانَ يخبرُهُمْ أنه لمْ يأتِ لحربٍ وإنَّما جاءَ زائرًا للبيتِ ، ومُعظِّمًا لحرمتهِ ، فلمْ يصحبْ معَهُ سلاحًا سوى السيوفِ ، وهي سلاحُ المسافرِ .

بلَّغ عثمانُ رسالةَ النَّبيِّ ﷺ ، فقالوا لَهُ : إنْ شئتَ أنْ تَطوفَ بالبيتِ فَطُفْ .

قَالَ عثمانُ : ما كنتُ لأفعلَ حتَّى يطوفَ بهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

لكنَّ قريشًا احتجزُوا عثمانَ عندَهم ، وطارتْ إشاعةٌ إلى المسلمينَ بأنَّ عثمانَ قدْ قُتِلَ .

دعَا الرسولُ ﷺ المسلمينَ إلى البيعةِ علَى الجهادِ انتقامًا لمقتلِ عُثمانَ ، وعُرِفتْ تلكَ البيعة ببيعةِ الرضوانِ ، وسرعانَ مَا وصلتْ أنباءٌ تُفيدُ بأنَ عثمانَ مَا زالَ حيًّا ، وأرسلتْ قريشٌ سهيلَ بنَ عمروٍ ، وقالتْ لَهُ :

ائتِ محمدًا فصالحه ، ولا يكنْ في صُلحه إلا أنْ يرجعَ عنَّا عامَهُ هذَا ، فواللَّه لا تُحدِّثْ العربُ عنَّا أن محمدًا دخلهَا علينَا عُنوةً (غصبًا) أبدًا .

وحينَ رأى النبيُّ ﷺ سُهيلاً قالَ : قدْ سَهَّلَ لكُمْ أمركُمْ ، أرادَ القومُ الصلحَ حينَ بعثُوا هذَا الرجلَ ، ودعَا النبيُّ ﷺ علَيَّ بن أبي طالبٍ ليكتبَ بنودَ الصلحِ ، فقَالَ : اكتبْ باسمِ اللَّهِ

قالَ سهيلٌ معترضًا : لا أعرفُ هذَا ، ولكنْ اكتب باسمك اللهمَّ .

قالَ النبيُّ ﷺ : اكتبْ « هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلَ بن عمرو » . قالَ سهيلٌ معترضًا : لو نعلمُ أنكَ رسولُ الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناكَ : اكتبْ اسمكَ واسم أبيك .

فَقالَ النبيُّ ﷺ : إني رسولُ الله وإنْ كذبتمُوني .. اكتبْ .. هذا ما صَالحَ عليه محمدُ بنُ عبد الله سُهيلَ بنَ عمرو اصطلحا على وضْع الحرب عن الناس عشرَ سنينَ يأمنُ فيهنَّ الناس ، ويكفَّ بعضُهم عَن بعضٍ ، علَى أنَّ مَن أتى محمدًا من قريشٍ بغيرِ إذنِ وليه ردَّه عَلَيه ، ومَن جَاء قُريشًا ممن معَ محمدٍ لمْ يردَّه إليه .. وإنَّ بيننا عيبةً مكفوفةً (قلوب مغلقة) وإنه لا إرسال (سرقة خفية) ولا إغلال (خيانة) ، وإنه مَن أحبَّ من غير قريشٍ أنْ يدخلَ في عقدِ محمدٍ وعَهده دخلَ فيه ، ومَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ عقد قريشٍ وعهدهم دخلَ فيه .